

الرسالة

(عبرانيين ١: ١٠-١٤)
٢: ١-٣

أنت يا ربُّ في السبِّدِ
أسَّست الأرضَ والسمواتِ
هي صنُّعُ يديك* وهي
تزولُ وأنت تبقى وكلُّها
تَبلى كالثوبِ* وتطويها
كالرداءِ فتتغيَّرُ وأنت أنت
وسنوكَ لن تَفنى* ولمنْ من
الملائكةِ قالَ قطُّ اجلسْ عن
يمينِي حتى أجعلَ أعداءَكَ
موطئاً لقدمَيْك* أليسوا
جميعهم أرواحاً خادِمةً
تُرسلُ للخدمةِ من أجلِ
الذين سيرثونَ الخلاصَ*
فلذلك يجبُ علينا أن
نُصغي إلى ما سمِعناهُ
إصغاءً أشدَّ لئلاَّ يسرَّبَ
من أذهانِنَا* فإنَّها إن
كانتِ الكلمةُ التي نُطقُ بها
على ألسنةِ ملائكةِ قد
ثبَّتت وكلُّ تعدُّ ومعصيةٍ
نال جزاءً عدلاً* فكيف
نُفليتُ نحنُ إن أهملنا
خلاصاً عظيماً كهذا قد
نُطقُ به على لسانِ الربِّ
أولاً ثمَّ ثبَّتَهُ لنا الذين
سمِعوه.

الأحد الثاني من

الصوم

نعيدُ في الأحد الثاني من الصوم
لتذكُّر القديس غريغوريوس
بالاماس رئيس أساقفة تسالونيكِي
المدافع عن عقيدة النور الإلهي غير
المخلوق. من ينظرُ إلى فترة الصوم
ومنهجية ترتيب
كتاب التريودي
للخدم
الليتورجية في
هذه المرحلة من
السنة الطقسية،
يلاحظ أن انتقاء
آباءنا القديسين
لمناسبات
خصَّوها بكل
أحد من آحاد
الصوم، له

علاقة صميمة بعيشنا للإيمان
وفهمنا لمسيرة الفصح.

كان القديس غريغوريوس واحداً
من كبار المعلمين الروحيين في
كنيستنا. كتاباته التي انتشرت في
الكنيسة في القرن الرابع عشر، قبيل
سقوط القسطنطينية، كانت خلاصة
لاهوتية متكاملة للتقليد الكنسي
الآبائي الذي سبقه. هذا اللون من
كتابات آباء الكنيسة يتخذ مكانة
مركزية في التقليد الأرثوذكسي
الشريف، وفي تعليم الكنيسة عن
الحياة بالمسيح. نجد لاهوتيين
قديسين عظماء، مثل باسيليوس
الكبير، غريغوريوس اللاهوتي،

غريغوريوس النيصي، ديونيسيوس
الآريوباغي، ديانوخوس فوتيقيس،
إسحق السرياني، مكاريوس المصري،
نيلس الناسك، إيسيخيوس المتوحّد،
مكسيموس المعترف، يوحنا
الدمشقي، سمعان اللاهوتي الحديث،
وغريغوريوس بالاماس الذي نعيدُ له،
هؤلاء نجدهم في سيرتهم الفائقة
الطبيعة وكتاباتهم الثمينة، والتي هي
ثمار فعل

الروح القدس
فيهم، يزينون
تقليد الكنيسة
الشريف،
موجهين فيه
سبل التكلم
باللاهوت
ومناهج
التوبة،
والتنقّي،
والارتقاء إلى

معرفة الإله المثلث الأقانيم. كذلك
بالنسبة إلى سير القديسين النساك
وأقوال آباء الصحراء التي طالما أغنت
تعليم كنيستنا عن الحياة الروحية.

الفضيلة التي تميّز آباءنا القديسين
في كتاباتهم وفي تعليمهم هي أنهم
كانوا خفرين. لم يكونوا يتكلمون على
أنفسهم. مثل السيدة والدة الإله التي
كانت تختبر العجائب التي رافقت
مولودها «وكانت تحفظ كل الأمور في
قلبها» (لوقا ٢: ١٩). خبرة الروح
القدس السريّة الذي يسكن فينا،
لطالما عبَّرَ عنها في صمت، في
تقليدنا الشريف. لم يسعَ آباؤنا يوماً
إلى بسط خبراتهم أمام جماهير

العدد ١٠/٢٠١٥

الأحد ٨ آذار

الأحد الثاني من الصوم

(أحد القديس غريغوريوس بالاماس)

تذكُّر البار ثاوفيلكتس المعترف

اللحن السادس

إنجيل السحر السادس

الإنجيل

(مرقس ٢: ١٠-١٢)

في ذلك الزمان دخل يسوع كَفَرْنَا حَوْمَ وَسْمَع أَنَّهُ فِي بَيْتِ* فَلِلْوَقْتِ اجْتَمَعَ كَثِيرُونَ حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يُعَدِّ مَوْضِعٌ وَلَا مَا حَوْلَ الْبَابِ يَسْعُ وَكَانَ يَخَاطِبُهُمْ بِالْكَلِمَةِ* فَأَتَوْا إِلَيْهِ بِمَخْلَعٍ يَحْمِلُهُ أَرْبَعَةً* وَإِذْ لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَقْتَرِبُوا إِلَيْهِ لِسَبَبِ الْجَمْعِ كَشَفُوا السَّقْفَ حَيْثُ كَانَ. وَبَعْدَ مَا نَقَبُوهُ دَلُّوا السَّرِيرَ الَّذِي كَانَ الْمَخْلَعُ مَضْطَجِعًا عَلَيْهِ* فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ إِيْمَانَهُمْ قَالَ لِلْمَخْلَعِ يَا بُنَيَّ مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَا* وَكَانَ قَوْمٌ مِّنَ الْكُتْبَةِ جَالِسِينَ هُنَاكَ يَفْكُرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مَا بَالُ هَذَا يَتَكَلَّمُ هكَذَا بِالْتَّجْدِيفِ. مَن يَقْدِرُ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ* فَلِلْوَقْتِ عَلَّمَ يَسُوعُ بِرُوحِهِ أَنَّهُمْ يَفْكُرُونَ هَكَذَا فِي أَنْفُسِهِمْ فَقَالَ لَهُمْ لِمَاذَا تَفْكُرُونَ بِهَذَا فِي قُلُوبِكُمْ* مَا الْأَيْسَرُ أَنْ يُقَالَ مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَا أَمْ أَنْ يُقَالَ قُمْ وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ وَامشِ* وَلَكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ ابْنَ الْبَشَرِ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا قَالَ لِلْمَخْلَعِ* لَكَ أَقُولُ قُمْ وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ وَاهْبِ إِلَى بَيْتِكَ* فقام

حيث هو المدافع الأول عن إيمان الكنيسة واستقامة الرأي فيها. طرَحَ الموضوع على أساس عقائدي صرف. الموضوع الأساس كان طبيعة النعمة المؤلَّهة. الجدل اللاهوتي عنى كلَّ الأسئلة المتعلقة بإمكانية الدخول في شركة حقيقية مع الله، وإمكانية تأله الإنسان الفعلي، وسبل معرفة الله، وعن إمكانية الخبرة السرية لمعرفة الله. كان همُّ الرهبان أن يؤكِّدوا أن الله أب يتبنى الإنسان، وأنه إذا تبنانا يجعل منا أبناء يعرفون أباهم ويعاينونه، ويعيشون في شركة وقربى معه. أراد الرهبان أن يقولوا إن نور الله يسكن في الإنسان ويظهر فيه حقيقة أبيه وأن من يشاهد النور يختبر لقاء شخصياً مع المسيح.

خبرة معاينة النور الإلهي طرحها برلعام وأتباع مذهبه على المستوى الفكري. هي بالنسبة لهم مجرد معرفة فكرية. نعرف الله بالعقل كما نعرف سائر الأشياء المخلوقة، أما بالنسبة إلى القديس غريغوريوس بالاماس وتقليد الكنيسة، فلا تنفصل معاينة النور عن خبرة تأله الإنسان، بل هي أحد عناصرها الأساسية.

مفهوم النور لعب دوراً في الإيمان المسيحي منذ بداية عهد الكنيسة. الإنجيلي يوحنا يعرف الله بأنه «نور وليس فيه ظلمة» (١ يوحنا ١: ٥)، المسيح في الإنجيل هو «نور العالم» (يوحنا ٧: ١٢) وهو يرسل تلاميذه ليكونوا نور العالم «أنتم نور العالم، لا يمكن أن تخفى مدينة موضوعة على جبل» (متى ٥: ١٤). دستور الإيمان يخبر أن المسيح هو «نور من نور». وكل كتبنا الطقسية تمدح إلهنا من حيث هو نور: «الأب والكلمة والروح هو نور الألوهة المثلث الضياء الذي به

المسيحيين من أجل اجتذابهم أو التأثير فيهم. ولا قاموا باستعراض منهجي للتعليم عن خبرة ارتقاء الإنسان إلى الله، بل اكتفوا بالوعظ الخفر والنصح التعليمي البناء، وأثروا الإقامة في سكينة روحية، بعيداً عن أعين الناس، في هدأة أمام الأب السماوي، الذي يرى في الخفية. ولكن ظروفًا مختلفة طرأت، في مرحلة تاريخية متأخرة نسبياً، حين حضر إلى شرقنا المسيحي ممثلون للاهوت عقلاني يكتفون في اللاهوت بالمعرفة الفكرية، ويستعوضون عن خبرة الصلاة والحياة الروحية بإعمال العقل. وقد عمد هؤلاء إلى تحدي روحانية كنيستنا. ساعتنًا، بخبرنا تاريخ الكنيسة في القرن الرابع عشر أن متوحدين من الجبل المقدس أتوس خرجوا من عزلتهم ووفدوا على القسطنطينية، ليتصدوا برزانة وحكمة لا مثيل لهما لمن حاولوا العبث بالأساس العقائدي لخبرة اتحادهم بالمسيح، ومعاينتهم السرية لنوره الأزلي.

العام ١٣٢٩، حضر إلى القسطنطينية الراهب الكلابري (كلابريا شبه جزيرة في جنوبي إيطاليا) «برلعام» وهاجم خبرة النسك الهدوئين في الصلاة المستمرة ومعاينة النور الإلهي. دار الجدل اللاهوتي حول طبيعة النور الذي ظهر على المسيح على جبل التجلي والذي يعاينه القديسون في خبرة الصلاة. انعقدت ثلاثة مجامع كنسية محلية في مدينة القسطنطينية ما بين العامين ١٣٤٣ و ١٣٥١، وهذه المجامع تضاهي في أهميتها، بالنسبة إلى الكنيسة الأرثوذكسية، المجامع المسكونية. وكان أن برز القديس غريغوريوس بالاماس، الناسك المتوحد ورئيس أساقفة تسالونيك في هذه المجامع، من

الوقت وحمل سريره وخرج
أمام الجميع حتى دهش
كلهم ومجدوا الله قائلين
ما رأينا مثل هذا قط.

تأمل

بالنسبة للبعض، هناك حالات يكون فيها المرض سبباً لخلاصهم. المرض مثلاً يلبس الأهل الطبعية الجائحة إلى الشر، يداوي الخطيئة عن طريق الضعف الجسدي فيجعل المريض قابلاً أولاً لشفاء النفس قبل الشفاء الجسدي خصوصاً عندما يؤمن بأن الشفاء يأتي من الله. هذا يجعله يصبر بشجاعة أكبر على المرض ويلجأ بإيمان إلى الله ويقوم بأعمال على قدر استطاعته طالباً غفران خطاياها.

هذا ما عبّر عنه المشلول عن طريق أعماله وعلى قدر استطاعته. والرب بأقواله وأعماله أكد هذا الأمر نفسه بالرغم من تجديف الفريسيين وتذمرهم عليه لأنهم لم يستطيعوا أن يفهموا كل ذلك.

«عندما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج: يا بني مغفورة لك خطاياك» (مر ٢: ٥). هنا يقصد إيمان الحاملين وإيمان المريض

الخليقة كلها تستنير». وبعد الله نسّمى الملائكة «أنواراً ثانية» تستمد نورها من الله. ثم يأتي الإنسان الذي يستنير بالمعمودية ويستعيد بالتوبة الحلة الأولى، النور الأبوي، التي يلبسها الأب الرحوم للابن الشاطر العائد من تيهه.

رسالة الكنيسة لنا في هذا الأحد أن الله الأب ينتظر عودتنا إليه ليلبسنا نور الطبيعة الإلهية غير المخلوق، النور الكائن مع الثالوث المحيي من قبل كون السماء والأرض. حتى إذا ما اتحدنا بالمسيح ننال في داخلنا المجد الإلهي الذي أثار موسى على جبل سيناء وبولس الرسول في طريقه إلى دمشق، والذي ينير ويقدّس وجودنا على الأرض.

صلاة منسى

الصوم هو فترة يتمرس فيها الإنسان على التوبة والمصالحة مع الله والآخريين والذات. هو فترة يحاول فيها الإنسان العودة إلى الأحضان الأبوية الإلهية، كالإبن الشاطر، متخلياً عن كل شهوة بشرية. وهذه هي التوبة تحديداً، أن يغيّر الإنسان مسار حياته ليسير في درب الرب ووصاياه. التوبة هي طريق القداسة، وشرطها الأساسي أن يعي الإنسان ضعفه وخطاياها ويدرك أن لا خلاص له من ذاته. في المقابل هي وعي ان الله، على الرغم من كل الضعفات والسقطات، سيسامحه إن عاد تائباً. تعبّر الصلوات والقراءات والمزامير التي نتلوها في صلاة النوم الكبرى عن توبتنا الصادقة عن خطايانا واتكالنا على الله (مثلاً المزمور ٥٠ «ارحمني يا الله»، وترنيمة «دموعاً أعطني يا

الله كما أعطيت قديماً المرأة الخاطئة» التي تعبّر عن توبة المرأة الخاطئة التي مسحت قدمي الرب يسوع بشعر رأسها). لعل صلاة منسى ملك اليهودية التي نتلوها في هذه الصلاة هي أفضل ما يعبر عن التوبة والعودة إلى الله والثقة بأن الله سيسامح من يعود إليه تائباً: «أيها الرب الضابط الكل... سخطك بالوعيد على الخطاة لا قوام له... التوب على مساوئ الناس... وعدت بالتوبة والغفران للمخطئين إليك، وبكثرة رأفتك حدّدت توبة للخطاة للخلاص... وضعت التوبة لي أنا الخاطيء، فإني قد أخطأت أكثر من عدد رمل البحر. قد تكاثرت أنامي يا رب... الآن أحني ركبة قلبي مبتهلاً إلى صلاحك... لكني أسألك متضرّعاً اغفر لي يا رب... لأنك أنت هو إله التائبين وفيّ توضح كل صلاحك...». لكن من هو منسى ملك اليهودية؟ وما أهمية الصلاة التي كتبها؟

بعد سليمان الحكيم انقسمت مملكة إسرائيل إلى مملكتين، جنوبية (يهوذا) وشمالية (السامرة). وكان منسى ملكاً على يهوذا (قصته موجودة في سفر الأخبار الثاني، الإصحاح ٣٣)، وقد حكمها لمدة ٥٥ سنة (٦٩٨-٦٤٣ ق.م). بعد والده التقى حزقيا الذي عمل إصلاحات ليتورجية ودينية في المملكة. خلف أباه وهو في الثانية عشرة من عمره، لكنه عمل بعكس ما كان يعمله أبوه. أعاد عبادة الأوثان والبعل والنجوم والكواكب، وبنى المذابح والهيكل الوثنية في المرتفعات وأعاد الإعتبار للعرفان والسخرية وقتل الأبرياء، كما يُنسب إليه مقتل إشعيا النبي. باختصار كان منسى أشد ملك في إسرائيل: «وأكثر عمل الشر في عيني الرب لإغاظته» (٢ أخبار ٣٣: ٦)، حتى انه أدخل التمثال الوثني إلى هيكل

أورشليم. ويقول سفر الأخبار إن «منسى أضلَّ يهوذا وسكان أورشليم ليعملوا أشراً من الأمم الذين طردهم الربُّ من أمام بني إسرائيل. وكلم الربُّ منسى وشعبه فلم يُصغوا، فجلبَ الربُّ عليهم رؤساءَ الجندِ الذين لِمِلكِ آشور فأخذوا منسى بخِزامةٍ وقيِّدوه بسلاسل نحاسٍ وذهبوا به إلى بابل» (٢ أخبار ٣٣: ٩-١١). نتيجة خطاياها كانت أن اقتيد إلى السبي إلى بلاد آشور. في السبي تعرض والشعب إلى مضايقات كثيرة وأتعاب وسخرة، فالأشوريون كانوا يعاملون الأسرى بشراسة وكانهم حيوانات. فلما «تضايق طلب وجه الربِّ إليه وتواضع جداً أمام إله آبائه، وصلى إليه فاستجاب له وسمع تضرُّعه وردَّه إلى أورشليم إلى مملكته، فعلم منسى أن الرب هو الله... وأزال الآلهة الغريبة والأشياء من بيت الربِّ وجميع المذابح التي بناها في جبل بيت الربِّ وفي أورشليم وطرحها خارج المدينة، ورمم مذبح الربِّ وذبح عليه ذبائح سلامةٍ وشكر وأمر يهوذا أن يعبدوا الربَّ إله إسرائيل» (٢ أخبار ٣٣: ١٢-١٦).
خلال أسره وسببه في آشور وعى منسى خطاياها الكثيرة التي هي أكثر من عدد رمل البحر، وعلم أنه أساء إلى الله، تاب وكتب هذه الصلاة متضرعاً إلى الله أن يقبله ويخلصه. فإله الرب تراءى لسليمان وقال له: «فإذا تواضع شعبي الذي دُعي اسمي عليهم وصلوا وطلبوا وجهي ورجعوا عن طرقهم الرديئة فإنني أسمع من السماء وأغفر خطيئتهم وأبرئ أرضهم» (٢ أخبار ٧: ١٤). وهذا ما حصل مع منسى لما تاب وصلى وتواضع، فما كان من الله إلا أن أعاده ملكاً إلى أرضه فحكم لمدة طويلة.

موسى في القديم أحضر الشريعة للشعب، وأدخلهم الرب إلى أرض الميعاد، وقال لهم ان الأرض تبقى لهم طالما حفظوا شريعة الرب (تثنية ٣٠: ١٥-٢٠). بينما منسى نقض شريعة الرب وعلم الشعب أن يعملوا هكذا، فأخرجهم الله من أرضهم. كل ما هو لك يؤخذ منك. ولكن لما تاب وتواضع وصلى مع الشعب عادوا إلى الأرض التي منها أخذوا ونالوا البركات.

في هذا الصوم الكبير المقدس الذي هو رحلة توبة وحج لنا نعود فيها إلى فردوسنا المفقود الذي استعدناه بقيامة الرب، نصلي صلاة منسى ونعرف ما هو مفعولها. نصرخ ونحن منحنين من كثرة قيود الخطايا وسلاسلها (كما كان منسى مقيداً بالسلاسل في الأسر)، ونصلي من مكان سبينا الروحي، خارج فردوس المسيح، الذي أوصلتنا إليه خطايانا. نصلي بتواضع قائلين «الآن أحنى ركبة قلبي مبتهلاً إلى صلاحك، أخطأت يا رب أخطأت، وبأتامي أنا عارف، لكنني أسألك متضرعاً اغفر لي يا رب اغفر لي... لأنك أنت هو إله التائبين وفي تواضع كل صلاحك...». المهم بعد العودة إلى الأحضان الأبوية أن يثبت الإنسان في محبة الله فيظهر ذلك عبر تسبيحة الله على الدوام مثل الملائكة: «وأسبحك كل حين جميع أيام حياتي. لأن إياك تسبح كل قوات السموات ولك نرسل المجد إلى دهر الداهرين». بكلام آخر، تجعل منا هذه الصلاة ملائكة. فالملائكة وحدهم يسبحون على الدوام بلا فتور.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعياً على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

معاً. قال: يا بني مغفورة لك خطاياك. قول عجيب يسمعه المخلَع! لقد دُعي ابناً من قبل الله فأصبح ابناً للآب السماوي ملتصقاً بالله المنزه عن الخطيئة، وأصبح هو أيضاً بلا خطيئة بسبب غفران خطاياها. قبل أن يتجدد جسده اقتبل تجدد نفسه على يد ذلك الذي يعرف ان النفس عندما تسقط في شبك الخطيئة تحصد الأمراض والموت حسب حكم الله العادل.

اتهمه الكتبة بالتجديف وأنه قال هذا لأنه لن يستطيع شفاء المخلَع. أجاب الرب اني لم أجد إلى غفران الخطايا لأنني غير قادر على الشفاء الجسدي كما تعتقدون، بل أملك سلطاناً إلهياً على الأرض كابن مساوي للآب السماوي في الجوهر بالرغم من صيرورتي مساوياً لكم في الجسد. أنتم يا ناكري النعمة. لذلك قال للمخلَع: «لك أقول قم احمل سريك على كتفك واذهب إلى بيتك».

القديس غريغوريوس بالاماس